

بهذا ما وصفه من قوله: ولا تحسبن إلى قوله: سريع الحساب ﴿ولينذروا﴾ مطوف على محذوف أي: لينصروا ولينذروا ﴿به﴾ بهذا البلاغ، وقرئ: ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعمله ﴿وليعلموا إنما هو إله واحد﴾ لأنهم إذا خافوا ما اتذروا به دعوتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد؛ لأن خشية أم الخير كله.

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إبراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد»⁽⁴⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر مكية

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب والقرآن المبين السورة، وتذكير القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وآي قرآن مبين، كانه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان.

زَيْنًا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ كَانُوا مُتِلَبِينَ ﴿٢﴾

قرئ: ربما وربتما بالتشديد وربما بالضم والفتح مع التخفيف.

فَإِنْ قُلْتَ: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي؟ قُلْتُ: لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل: ربما ودَّ.

فَإِنْ قُلْتَ: متى تكون ودادتهم؟ قُلْتُ: عند الموت، أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين، وقيل: إذا راوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة.

فَإِنْ قُلْتَ⁽⁵⁾: فما معنى التقليل؟ قُلْتُ: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك، وربما ندم الإنسان على ما فعل، ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون

قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين وقوله: ﴿في الأصفاد﴾ إما أن: يتعلق بمقرنين أي: يقربون في الأصفاد، وإما أن لا يتعلق به، فيكون المعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد: القيود، وقيل: الأغلال، وأنشد لسلامة بن جندل:

سَرَابُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَمَّتْ وَجُوهُهُمْ أُنْتَارُ ﴿٥٠﴾

القطران فيه ثلاث لغات: قطران، وقطران، وفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو: ما يتحلب من شجر يسمى: الأبهل فيطبخ فتهناً به الإبل الجري، فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف، ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار، وقد يستسرح به، وهو أسود اللون منتن الريح، فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي: القمص، لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران، وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، وتنت الريح، على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين، وكل ما وعده الله أو أوعده به في الآخرة فيبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره، وكأنه ما عنينا منه إلا الاسمي والمسميات ثمة، فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه، ونسأله التوفيق فيما ينجبنا من عذابه، وقرئ: من قطران والقطر: النحاس أو الصفر المذاب والآتي المتناهي حرجه ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ كقوله تعالى: ﴿فمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾⁽¹⁾ ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾⁽²⁾ لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال: ﴿تطلع على الأفتدة﴾⁽³⁾ وقرئ: وتغشى وجوههم بمعنى: تغشى. أي: يفعل بالمجرمين ما يفعل.

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾

﴿ليجزى الله كل نفس﴾ مجرمة ﴿ما كسبت﴾ أو كل نفس من مجرمة ومطبعة، لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم.

هَذَا بَلَدٌ لِنَّاسٍ لِيُذَنَّبُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٥٢﴾

﴿هذا بلاغ للناس﴾ كفاية في التذكير والموعظة يعني:

= نكره الزمخشري أنفاً، من التنبية بالادنى على الأعلى، ومنهم من وجهه بأن المقصود في ذلك: الإيدان بأن المعنى قد بلغ الغاية، حتى كاد أن يرجع إلى الضد، وذلك شأن كل ما انتهى لنهايته، أن يعود إلى عكسه، وقد أنصح أبو الطيب ذلك بقوله:

ولجبت حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ومن السرور بكاء وكلا هذين الوجهين، يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الإيقاظ إليها، والعمدة في ذلك على سياق الكلام: لأنه إذا اقتضى مثلاً تكثرأ، دخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل، استيقظ السامع بأن المراد: المبالغة على إحدى الطريقتين المذكورتين، والله أعلم.

(1) سورة الزمر، الآية: 24.
(2) سورة القمر، الآية: 48.
(3) سورة الهمزة، الآية: 7.
(4) نكره ابن مردويه والواحدى نكره (الزليعي 205/2).
(5) قال أحمد: لا شك أن العرب تعبر عن المعنى، بما يؤدي عكس مقصوده كثيراً، ومنه قوله:

قد أترك القرن مصفراً أنامله

وإنما يمتدح بالإكثار من ذلك، وقد عبر بقدر المفيدة للتقليل، ومنه والله أعلم، وقد تعلمون أنني رسول الله، والمقصود: توبيخهم على إذاهم لموسى عليه السلام، على توفر علمهم برسالته، ومناصحته لهم، وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك، فمنهم من وجهه بما=

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

قرأ الأعمش يا أيها الذيلقي عليه الذكر، وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾⁽²⁾ وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون، والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهمك مذهب واسع، وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها، ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾⁽³⁾ ﴿إنك لانت الحليم الرشيد﴾⁽⁴⁾ وقد يوجد كثيراً في كلام العجم والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر.

أَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ كَذِبًا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

لو ركبت مع لا وما لمعنيين، معنى: امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى: التخصيص، وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتخصيص. قال ابن مقبل:

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضونك على إنذارك كقوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾⁽⁵⁾ أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً كما كنت تأتي الأمم المكذبة برسولها.

مَا نَزَّلَ الْمَلَكِ كَذِبًا إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ ﴿٨﴾

قرئ: تنزل بمعنى: تنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة ﴿إلا بالحق﴾ إلا تنزلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ، لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾⁽⁶⁾ وقيل: الحق الوحي أو العذاب و ﴿إذاً﴾ جواب وجزاء؛ لأنه جواب لهم، وجزاء لشروط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخرج عذابهم.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

﴿إننا نحن نزلنا الذكر﴾⁽⁷⁾ رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: ﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾⁽⁸⁾ ولذلك قال: ﴿إننا نحن﴾ فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين، وهو حافظ في كل وقت من كل زيادة ونقصان

تقليله، ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوراً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل؛ لأن العقلاء يتحززون من التعرض للغم المظنون كما يتحززون من المتيقن، ومن القليل منه كما من الكثير، وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يوبون الإسلام مرة واحدة فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يوبونه في كل ساعة ﴿ولو كانوا مسلمين﴾ حكاية ودانتهم، وإنما جاء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك: حلف بالله ليفعلن، ولو قيل: حلف بالله لأفعلن، ولو كنا مسلمين لكان حسناً سديداً، وقيل: تدهشهم أهوال ذلك اليوم فييقنون مبهوتين، فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل.

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَبْهَمُوا أَفَمُلُ فَسَوْفَ يَمُورُونَ ﴿١٠﴾

﴿ذرهم﴾ يعني: اقطع طمعك من أرواحهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالندرة والنصيحة وخلصهم ﴿ياكلوا ويمتعوا﴾ بدياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملمهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العقاب إلا خيراً ﴿فسوف يعلمون﴾ سوء صنيعهم، والغرض الإيدان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ، ولا سبيل إلى اتعاضهم قبل ذلك، فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العقاب، وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه، وفيه تنبيه على أن إثثار التلذذ والتنعيم وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجيري أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين.

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا وَهَلَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿١١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿١٢﴾

﴿ولها كتاب﴾ جملة واقعة صفة لقرية، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾⁽¹⁾ وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب كتاب ﴿معلوم﴾ مكتوب معلوم، وهو: أجلها الذي كتب في اللوح وبين، ألا ترى إلى قوله ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ في موضع كتابها وأنت الأمة أولاً ثم نكرها آخرًا حملاً على اللفظ والمعنى، وقال: ﴿وما يستأخرون﴾ بحذف عنه؛ لأنه معلوم.

(1) سورة الشعراء، الآية: 208.

(2) سورة الشعراء، الآية: 27.

(3) سورة آل عمران، الآية: 21.

(4) سورة هود، الآية: 87.

(5) سورة الفرقان، الآية: 7.

(6) سورة الحجر، الآية: 85.

(7) قال أحمد: ويحتمل أن يراد: حفظه مما يشينه، من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المقترن، وذلك أيضاً من اللبيل على أنه من عند الله، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً﴾.

(8) سورة الحجر، الآية: 6.

إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَرَنَا بَلْ عَمَّنْ قَوْمٌ سَحَرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿١٧﴾.

قرئ: يعرجون بالضم والكسر و ﴿سكرت﴾ حيرت أو حبست من الأبصار من السكر، أو السكر، وقرئ: سكرت بالتخفيف أي: حبست كما يحسب النهر من الجري، وقرئ: سكرت من السكر أي: حارت كما يحار السكران، والمعنى: أن هؤلاء المشركين بلغ من غلومهم في العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء، ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له، ولقالوا: قد سحرنا محمد بذلك، وقيل: الضمير للملائكة أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك، ونكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون، وقال: إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للابصار.

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مِيبٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرْوُورٍ ﴿١٩﴾.

﴿من استرق﴾ في محل النصب على الاستثناء، وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يجيبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها ﴿شهاب ميبين﴾ ظاهر للمبصرين ﴿موزون﴾ وزن فيه زيادة ولا نقصان، أوله وزن وقد في أبواب النعمة والمنفعة، وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها.

وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيَشًا وَنَسَمْنَا لَهُمُ رِزْقِينَ ﴿٢٠﴾.

﴿معاش﴾ بياء صريحة بخلاف الشماثل والخبائث ونحوهما، فإن تصريح الياء فيها خطأ، والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين، وقد قرئ: معاش بالهمز على التشبيه ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على معاش أو على محل لكم كانه قيل: وجعلنا لكم فيها معاش وجعلنا لكم من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معاش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون، فإن الله هو الرزاق

وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلّفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه.

فإن قلّت: فحين كان قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ رداً لإنكارهم واستهزأتهم فكيف اتصل به قوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾؟ قلّت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواء، وقيل: الضمير في له لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿والله يعصمك﴾ (١).

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٢﴾.

﴿في شيخ الأولين﴾ في فرقهم وطوائفهم، والشبيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة، ومعنى أرسلناه فيهم: نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم.

﴿وما يأتيتهم﴾ حكاية حال ماضية؛ لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال، ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال.

كَذَلِكَ نَسَلَكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾.

يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته، وقرئ: نسلكه والضمير للذكر أي: مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في ﴿قلوب المجرمين﴾ (٢) على معنى: أنه يلقيه في قلبهم مكنباً مستهزأ به غير مقبول، كما لو أنزلت بلقيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللائم تعني: مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية، ومحل قوله: ﴿لا يؤمنون به﴾ النصب على الحال أي: غير مؤمن به، أو هو بيان لقوله: ﴿كذلك لنسلكه﴾ ﴿سنة الأولين﴾ طريقتهم التي سنّها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسولهم وبالذکر المنزل عليهم، وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم.

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَهْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ لَقَالُوا

(1) سورة المائدة، الآية: 67.

= وعلما وجه إعجازه، وولج ذلك في قلوبهم وقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد، وشيتمهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاهم إلى الإيمان، بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء، ويخرج بهم إليهم، حتى يدخلوا منه نهاراً، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿فظلوا﴾ لأن الظلول إنما يكون نهاراً، لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف: ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ وسحرنا محمد، وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها، فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عنز لهم في التكذيب من عدم سماع، ووعي، ووصول إلى القلوب، وفهم كما فهم غيرهم من المصنّفين؛ لأن ذلك كله حاصل لهم، وإنما بهم العناد، واللدد، والإصرار لا غير، والله أعلم.

(2) قال أحمد: والمراد والله أعلم: إقامة الحجة على المكذبين، بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم، وأدخله في سويدائهم، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصنّفين، فكذب به هؤلاء، وصنق به هؤلاء، كل على علم وفهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولئلا يكون للكفار على الله حجة، بأنهم فهموا وجه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة، وإمكان أنهم ما كفروا إلا على علم، معاندين، باغين، غير معنورين، والله أعلم، ولذلك عقبه الله تعالى بقوله: ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ أي: هؤلاء فهموا القرآن، =

الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل. وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدأً فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجعياً فهو صلصلة، وقيل: هو تضعيف صل إذا أنتن، والحماء: الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور من سنة الوجه، وقيل: المصوب المفرغ أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها، وقيل: المنتن من سنتت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتناً ﴿من حما﴾ صفة لصلصال أي: خلقه من صلصال كائن من حما، وحق ﴿مسنون﴾ بمعنى: مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحماء فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس، حتى إذا نقر صلصل، ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر.

وَلَمَّا ذَكَرْنَا عَنْهُ مِنَ الْقُرْآنِ ذَكَرَ السَّمِيرَ ﴿١٧﴾

﴿والجان﴾ للجن كآدم للناس، وقيل: هو إبليس، وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: والجان بالهمز ﴿من نار السموم﴾ من نار الحر الشديد النافذ من المسام، قيل: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من سموم النار التي خلق الله منها الجن.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن مَّصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿١٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَجِدِينَ ﴿١٩﴾ نَسَجَدَ لِلْمَلَائِكَةِ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢١﴾

﴿إذ قال ربك﴾ وانكر وقت قوله: ﴿سويته﴾ عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها، ومعنى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه. واستثنى إبليس من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغلب كقولك: رأيتهم إلا هذا و ﴿إبى﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلا سجد؟ فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه، وقيل: معناه ولكن إبليس أبى.

قَالَ لِيَأْبَىٰ مَا لَكَ إِلَّا نَكُورٌ مَّعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَ مِن مَّصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٢﴾

حرف الجر مع أن محذوف وتقديره ﴿ما لك﴾ في ﴿إلا﴾ تكون مع الساجدين، بمعنى أي غرض لك في إبانك السجود وأي داع لك إليه؟ اللام في ﴿لأسجد﴾ لتأكيد النفي ومعناه: لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر.

يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه، وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون، ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في لکم؛ لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.

وَإِن يَن سَخَىٰ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِكُمْ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٣﴾

ذكر الخزائن تمثيل والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به، وما نعطيهِ إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلح له، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور.

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ مَّنثُورًا يَنبِئُ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ وَمَا أَنشُرْ لَكُمْ يَحْيَىٰ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَحَسْبُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٥﴾

﴿لواحي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحب ماطر كما قيل: للتي لا تأتي بخير ربح عقيم، والثاني: أن اللواحي بمعنى الملاقح كما قال: ومختبب مما تطيح الطواحي

يريد المطاوح جمع مطيحة، وقرئ: وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿فأسفيناكموه﴾ فجعلنا لكم سقياً ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ نفى عنهم ما أثبتت لنفسه في قوله: ﴿وان من شيء إلا عندنا خزائنه﴾⁽¹⁾ كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القاسرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقارين، دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم ﴿ونحن الوارثون﴾ أي: الباقون بعد هلاك الخلق كله، وقيل للباقي: وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فناؤه، ومنه قوله ﷺ في دعائه: وواجله الوارث منا⁽²⁾.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُمُ حَكِيمٌ عليمٌ ﴿٢٧﴾

﴿ولقد علمنا﴾ من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر من الأولين والآخرين، أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر، وقيل: المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين، وروي: أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله ﷺ، فكان بعض القوم يستقدم لثلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليصبرها⁽³⁾ فنزلت ﴿هو يحشرهم﴾ أي: هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ﴿إنه حكيم عليم﴾ باهر الحكمة وأوسع العلم، يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب، وقد أحاط علماً بكل شيء.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن مَّصَلٍ مِّن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾

(3) رواه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر (الحديث رقم: 3122)، والنسائي في كتاب: الإمامة، باب المنفرد خلف الصف، (الحديث رقم: 870).

(1) سورة الحجر، الآية: 21.
(2) رواه الترمذي في كتاب: «الدعوات» باب (80) (الحديث رقم: 3502)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (الحديث رقم: 404) والحاكم في المستدرک 528/1.

استثنى المخلصين؛ لأنه علم أن كيدته لا يعلم فيهم ولا يقبلون منه. أي **﴿هذا﴾** طريق حق **﴿علي﴾** أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته، وقرئ: علي، وهو: من علو الشرف والفضل.

وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ لَمَا سَمِعَهُ أُتْرَابٌ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿١٧﴾.

﴿لموعدهم﴾ الضمير للغاوين، وقيل: أبواب النار أطبقها وأدراكها، فأعلاها للموحدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبدية النار، والحطمة لعبدية الأصنام، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين، والهاوية للموحدين. وقرئ: جزء بالتخفيف والتثقيب، وقرأ الزهري: جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة والقي حركتها على الزاي، كقولك: خب في خب، ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم: الرجل، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف.

إِنَّ الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ وَعُوبُونَ ﴿١٨﴾ أَذْخَلُوهَا يَسْلَمًا مَّيْمِينَ ﴿١٩﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٠﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٢١﴾.

المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اتقوا الكفر والفواحش، ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها **﴿ادخلوها﴾** على إرادة القول، وقرأ الحسن: ادخلوها **﴿يسلام﴾** سالمين أو مسلماً عليكم، تسلم عليكم الملائكة. الغل الحقد الكامن في القلب من أنغل في جوفه وتغلغل أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر، نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم، وعن علي رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم، وعن الحرث الأورق: كنت جالساً عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي: مرحباً بك يا ابن أخي أما والله إنني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله تعالى: **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾** فقال له قائل: كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد، فقال: فلنمن هذه الآية لا أم لك، وقيل معناه: طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة، ونزع منها كل غل، وألقى فيها التواد والتحاب **﴿وإخواناً﴾** نصب على الحال و **﴿على سرر متقابلين﴾** كذلك، وعن مجاهد: تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

قَالَ مَا نُخْرِجُ مِنْهَا فَأَنَّاكَ رَجِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِكَّ يَوْمَ الْآزِينِ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِكَّ يَوْمَ يُعْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٥﴾ إِكَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٦﴾.

﴿رجيم﴾ شيطان من الذين يرحمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله؛ لأن من يطرد يرحم بالحجارة، ومعناه: ملعون؛ لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها. والضمير في منها راجع إلى الجنة، أو السماء، أو إلى جملة الملائكة. وضرب يوم الدين حداً للجنة إما لأنه غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله: **﴿ها دامت السموات والأرض﴾** (١) في التأييد، وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن يعذب، فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه. ويوم للدين، ويوم يبعثون، ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت؛ لأنه لا يموت يوم البعث أحد، فلم يجب إلى ذلك ونظر إلى آخر أيام التكليف.

قَالَ رَبِّ يَا أَغْوِيْتِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٣٠﴾.

﴿بما اغويتني﴾ الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم **﴿لازئين﴾** المعنى: أقسم بإغوائك إياي لازئين لهم، ومعنى إغوائه إياه: تسببه لغيره بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأغضى ذلك إلى غيه، وما الأمر بالسجود إلا حسس وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، والله تعالى بري. من غيه ومن إرادته والرضا به ونحو قوله: **﴿بما اغويتني لازئين﴾** **﴿لهم﴾** قوله: **﴿فبعزتكم لأغوينهم أجمعين﴾** (٢) في أنه إقسام إلا أن أحدهما: إقسام بصفته والثاني: إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما، ويجوز أن لا يكون قسماً يقدر قسم محذوف ويكون المعنى: بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي، وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم **﴿في الأرض﴾** في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى: **﴿أخذل إلى الأرض واتبع هواه﴾** (٣) وأراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء، فإنا علي التزيين لأولاده في الأرض أقدر، أو أراد لأجل مكان التزيين عندهم الأرض، ولأقنع تزييني فيها، أي لازئينها في أعينهم، ولأحدثهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويمطمئنوا إليها دونها، ونحوه: يجرح في عراقبها نصلي،

(3) سورة الاعراف، الآية: 176.

(1) سورة هود، الآيات: 107، 108.

(2) سورة ص، الآية: 82.

كقوله: ﴿لَا يَبْتَئِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (1) يعني: لم استنكر تلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَإِلَّا مَا لُوطٌ إِنَّا لَمُجْرِمُهُمْ أُجْمِعِينَ ﴿٧٩﴾.

فإن قُلْتُ: قوله تعالى: ﴿إِلَّا آل لوط﴾ استثناء متصل أم منقطع؟ قُلْتُ: لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعاً؛ لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنس، وإن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلاً كأنه قيل: إلى قوم قد أجمروا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال: ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ (3).

فإن قُلْتُ: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين؟ قُلْتُ: نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً، ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمى في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين، ولكن آل لوط انجبناهم، وأما في المتصل: فهم داخلون في حكم الإرسال، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول.

فإن قُلْتُ: فقوله: ﴿إنا لمنجوهم﴾ بم يتعلق على الوجهين قُلْتُ: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط؛ لأن المعنى لكن آل لوط منجون، وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً، كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم: فما حال آل لوط؟ فقالوا: إنا لمنجوهم.

إِلَّا أَمْرَانَهُ فَرَدَّهَا إِلَيْهَا لِمَنْ الْفَتَوَاتُ ﴿٨٠﴾.

فإن قُلْتُ: فقوله: ﴿إلا امرأته﴾ مم استثنى؟ وهل هو استثناء من استثناء؟ قُلْتُ: استثنى من الضمير المجرور في قوله: لمنجوهم، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء؛ لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وإن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته، كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنين إلا واحدة، وفي قول المقر لفلان: علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً، فأما في الآية فقد اختلف الحكماء؛ لأن آل لوط متعلق بإرسالنا أو بمجرمين، وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم، فإني يكون

﴿يَمَّا يَبَايِعُ أَبَاهُ أَنَا أَلْعَفُورُ أَرْجِيئُ﴾ (٤١) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْمَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥١﴾ وَيَنْبَغِي عَنْ صَبِيٍّ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾.

لما أتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه ﴿نبئ عبادي﴾ تقرير لما نكر وتمكياً له في النفوس. وعن ابن عباس رضي الله عنه: غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ﴿ونبئهم﴾ على ﴿نبئ عبادي﴾ ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين، ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم.

إِذْ دَعَاؤُا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا سَلْنَا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَبِئْرُونَ ﴿٥٦﴾.

﴿سلاماً﴾ أي: نسلم عليك سلاماً، أو سلمت سلاماً ووجلون﴾ خائفون، وكان خوفه لامتناعهم من الأكل، وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت. وقرأ الحسن: لا تجل بضم التاء من أوجه يوجه إذا أخافه، وقرئ: لا تاجل، ولا توجل من واجله بمعنى: أوجه.

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ قَالَ أَشَرُّنَا مِثْلُكُمْ أَن مَسَىٰ الْكِبَرُ مِنِّي فَبِمَا بَشَرُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا بَشَرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِثْلَ الْقَائِلِينَ ﴿٥٩﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٩﴾.

وقرئ: نبشرك بفتح النون والتخفيف ﴿إنا نبشرك﴾ استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل، أرادوا أنك بمثابة الأمن المبشر فلا توجل. يعني ﴿بشروني﴾ مع مس الكبر بأن يولد لي، أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر ﴿فبم تبشرون﴾ هي: ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال: فبأي عجيبة تبشروني! أو أراد أنك تبشروني بما هو غير متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني: لا تبشروني في الحقيقة بشيء؛ لأن البشارة يمثل هذا بشارة بغير شيء، ويجوز أن لا يكون صلة لبشر، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة يعني: بأي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة.

وقوله: ﴿بشرك بالحق﴾ يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي: بشرك باليقين الذي لا لبس فيه، أو بشرك بطريقة هي حق وهو: قول الله، ووعده، وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين، فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟ وقرئ: تبشرون بفتح النون وبكسرهما على حذف نون الجمع، والأصل تبشرون وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العماد. وقرئ: من القنطين من قنط يقنط. وقرئ: ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون، أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطون طريق الصواب، أو إلا الكافرون

(1) سورة يوسف، الآية: 87.

(2) قال أحمد: وجعله الأول منقطعاً أولى وأمكن، وذلك إن في استثناءهم من الضمير العائد على قوم منكربين بعداً، من حيث أن موقع الاستثناء إخراج ما لولاه، لئلا المستثنى في حكم الأول، وهذا الخول متعذر من التنكير، ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى =

= منها، إلا في سياق نفي؛ لأنها حينئذ أعم، فيتحقق الخول لولا الاستثناء، ومن ثم لم يحسن رأيت قوماً إلا زياداً، وحسن ما رأيت احد إلا زياداً، والله أعلم.

(3) سورة الذاريات، الآية: 36.

استثناء من استثناء؛ وقرئ: لمنجوم بالتخفيف والتثقل.

فإن قُلْتَ⁽¹⁾ لمَ جاز تعليق فعل التقدير في قوله: ﴿قَدَرْنَا إِنْهَا لِمَنْ الْغَابِرِينَ﴾ والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قُلْتَ: لتضمن فعل التقدير معنى العلم، ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم.

فإن قُلْتَ: فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قَدَرَ الله؟ قُلْتَ: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا وأمرنا بكذا، والمببر والأمر هو الملك لا هم، وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم، وأنهم لا يتميزون عنه، وقرئ: قدرنا بالتخفيف.

لَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قومٌ مُّكْرُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَرِّ جَنَّتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾.

﴿مكرون﴾ أي: تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشر بلبيل قوله: ﴿بَلِّ جَنَّتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: ما جنتك بما تنكرنا لأجله بل جنتك بما فيه فرك وسرور وتشفيك من عدوك، وهو: العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك.

وَأَبْنَاءُ بِالْحَيِّ وَإِنَّا لَمَكِيدُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِ بِأَعْلِكَ بِقِطْعِ يَمِّنِ اللَّيْلِ وَارْتَحِبْ آدْبُرَهُمْ وَلَا يَلْبُوتْ سِنَكَ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ وَصَبَّأً وَإِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾.

﴿بالحق﴾ باليقين من عذابهم ﴿وإننا لصادقون﴾ في الإحبار بنزوله بهم. وقرئ: فاسر بقطع الهمزة وصلها من أسرى وسرى، وروي صاحب الإقليد: فسر من السير. والقطع في آخر الليل قال:

افتحى الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وتيل: هو بعدما يمضي شيء صالح من الليل.

فإن قُلْتَ: ما معنى أمره باتباع أدبارهم⁽²⁾ ونهيبهم عن الالتفات؟ قُلْتَ: قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم، وخرج مهاجرًا فلم يكن له بدٌ من

الاجتهاد في شكر الله وإدامة نكره وتفريغ باله لذلك، فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه، وليكون مطلعًا عليهم وعلى أحوالهم، فلا تفرط منهم التفاتة احتشامًا منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة، ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب، وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به⁽³⁾، ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم، وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة، ويطيبوها عن مساكنهم، ويمضوا قدمًا غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال:

تلفت نحو الحي حتى وجبتني رجعت من الإصغاء لينا وأخدما

أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف؛ لأن من يتلفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة ﴿حيث تؤمرون﴾ قيل: هو مصر، وعدي، وأمضوا إلى حيث، تعديته إلى الظرف المبهم؛ لأن حيث مبهم في الأمكنة، وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي قضينا بالي؛ لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضيًا مبتوتًا وفسر ﴿نلك الأمر﴾ بقوله: ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع﴾ وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له، وقرأ الاعمش: إن بالكسر على الاستئناف كان قائلاً قال: أخبرنا عن نلك الأمر؟ فقال: إن دابر هؤلاء، وفي قراءة ابن مسعود: وقلنا إن دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيبِي فَلَا تَنْصَحُونِ ﴿١٨﴾ وَأَقْرَأُوا أَنَّهُ وَلَا تَحْزُرُونِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَسْهَلْكَ عَنِ الْمَلَائِكَةِ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمِينَ ﴿٢١﴾.

﴿أهل المدينة﴾ أهل سدوم التي ضرب بقاضياها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة ﴿لا تفصحون﴾ بفضيحة ضيفي؛ لأن من أسى إلى ضيفه أو جاره فقد أسىء إليه، كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم ﴿ولا تحزون﴾ ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو: الهوان، أو ولا

= غير محكى عن الملائكة، وهو الظاهر، فإن الذي يجعله من قول الملائكة، يحتاج في نسبتهم التقدير إلى أنفسهم إلى تأويل، ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا، وإنما يعنون دبر الملك وأمر وبذلك أوله الرمزخشري، وإن كان أصله لا يحتاج معه إلى التأويل؛ لأنه إذا جعل ﴿قَدَرْنَا﴾ بمعنى علمنا ﴿إنها لمن الغابرين﴾ فلا غرور في علم الملائكة، والله أعلم.

(2) قال أحمد: ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، حيث تقمّم قومه، فقال: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ والله أعلم.

(3) قال أحمد: ولقد شملت هذه الآية على وجازتها، آداب المسافرين لمهم ديني أو دنيوي من الأمر والمأمور، والتابع والمتبوع، ما فرطنا في الكتاب من شيء.

(1) قال أحمد: وهذه أيضاً من دوائنه الاعتزالية في جحد القضاء والقدر، واعتقاد أن الأمر أنف؛ لأنهم لا يعتقدون أن الله تعالى مرید لأكثر أفعال عبده، من معصية ومباح ونحوهما، ولا مقتر لها على العبيد بمعنى أنه مرید، ولكنه عالم بما سيقولونه على خلاف مشيئته وإرادته، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدل على أن التقدير هو العلم، بتعليق فعله على العلم، وذلك من خواص فعل العلم وأخواته، فانظر إلى بعد غوره، وبقه فطنته في ابتغاء السنة ليلقها ويعاند بها البراهين الواضح فلحقها، وفي كلامه شاهد على رده، فإن التقدير عنده مضمن معنى العلم، ومن شأن الفعل المضمن معنى آخر، أن يبقى على معناه الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ، فيفيدها جميعاً، فالتقدير إذاً كما أفاد العلم الطارئ، يفيد الإرادة أصلاً ووضعا، والله أعلم على أن من الناس من جعل قوله تعالى: ﴿قَدَرْنَا أَنهَا لِمَنْ الْغَابِرِينَ﴾ من كلامه تعالى =

وَإِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَكُمْ يُحَرِّمُونَ مَا كَرِهَ اللَّهُ مُبْدًى وَآخِرًا وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾ فَأَتَيْنَاهُمُ مِنْهُمْ وَاتَّخَذُوا لِيَامِرِ
مُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾.

﴿أصحاب الأيكة﴾ قوم شعيب ﴿وإنهما﴾ يعني: قرى قوم لوط والأيكة، وقيل: الضمير للأيكة، ومدين؛ لأن شعيباً كان مبعوثاً إليهما، فلما نكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما ﴿لبإمام مبین﴾ بطريق واضح، والإمام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق، ومطمر البناء، واللوح الذي يكتب فيه؛ لأنها مما يؤتم به.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَدٌ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَأَتَيْنَاهُم مَّيْمَنًا فَكَانُوا عَنْهَا مُمِرِّضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَتَحَوَّنُ مِنْ أَلْبَابٍ يُبْئُونَ أَعْيُنَهُمْ فَأَخَذْتَهُمُ الْأَمِيمَةَ مُضْمِرِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَغْرَى عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾.

﴿أصحاب الحجر﴾ ثمود والحجر وإبيهم، وهو بين المدينة والشام ﴿المرسلين﴾ يعني: بتكذيبهم صالحاً؛ لأن من كذب واحداً منهم فكانت كتبهم جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل: الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه، وعن جابر: مررنا مع النبي ﷺ على الحجر فقال لنا: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء، ثم زجر النبي ﷺ راحلته فأسرع حتى خلفها»⁽⁴⁾. ﴿أمنين﴾ لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ويتداعى بنيانها، ومن نقب اللصوص، ومن الأعداء، وحوادث الدهر، أو أمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميمهم منه ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْبِرْ لَمَصْعِ اللَّيْلِ ﴿٨٥﴾.

﴿إلا بالحق﴾ إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً، أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال ﴿وإن الساعة آتية﴾ وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم، فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك ﴿فاصبر﴾ فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بأية السيف، ويجوز أن يراد به المخالفة فلا يكون منسوخاً.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾.

﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم وهو ﴿العليم﴾ بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينهم، وهو يحكم بينهم، أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم، وقد علم أن الصبح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح، وفي مصحف أبي، وعثمان: إن ربك هو

تشوروا بي من الخزية وهي الحياء ﴿عن العالمين﴾ عن أن تجبر منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد، وكان يقوم ﷺ بالنهي عن المنكر، والحجر بينهم وبين المتعرض له فأوعوه وقالوا: ﴿لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾⁽¹⁾ وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم، وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط ﴿هؤلاء بناتي﴾ إشارة إلى النساء؛ لأن كل أمة أولاد نبيا رجالهم بنوه ونسأؤهم بناته فكانه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهن واخلو ابني فلا تتعرضوا لهم ﴿إن كنتم فاعلين﴾ شك في قبولهم لقوله كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أنظنكم تفعلون، وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم.

لَمَتَّكُمْ لِيَوْمِهِمْ لِيَسْكُرَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾.

﴿لعمرك﴾ على إرادة القول أي: قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ أي: غوايتهم التي أنهبت عقولهم، وتميزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات ﴿يعمهمون﴾ يتحيرون، فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك، وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له، والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه، وذلك لأن الحلف كثير الدور على الاستنهم ولذلك حذفوا الخبر، وتقديره لعمرك مما أقسم به، كما حذفوا الفعل في قولك: بالله، وقرئ: في سكرهم وفي سكراتهم.

فَأَخَذْتَهُمُ الْأَمِيمَةَ مُثَرِّينَ ﴿٧٩﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَكِّينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَإِسْبِيلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾.

﴿الصيحة﴾ صيحة جبريل عليه السلام ﴿مشرقين﴾ داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس ﴿من سجيل﴾ قيل: من طين عليه كتاب من السجل ولبيله قوله تعالى: ﴿حجارة من طين * مسومة عند ربك﴾⁽²⁾ أي: معلمة بكتاب ﴿للمتوسمين﴾ للمتفرسين المتأملين، وحقيقة المتوسمين النظائر المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال: توسمت في فلان كذا أي: عرفت وسمه فيه. والضمير في ﴿عليها سافلها﴾ لقرى قوم لوط ﴿وإنها﴾ وإن هذه القرى يعني: آثارها ﴿لبسبيل مقبم﴾ ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعنومهم يصرون تلك الآثار، وهو تنبيه لقريش كقوله: ﴿وإنكم لتمزون عليهم مصبحين﴾⁽³⁾.

(4) رواه البخاري في كتاب: المغازي، باب: نزول النبي ﷺ الحجر

(الحديث رقم: 4419).

(1) سورة الشعراء، الآية: 167.

(2) سورة الذاريات، الآيتان: 33 - 34.

(3) سورة الصافات، الآية: 137.

أوتي فقد صغر عظيمًا وعظم صغيرًا⁽⁴⁾. وقيل: وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير، فيها أنواع البن والطيب والجوهر وسائر الأمتعة، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها، ولأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الله عز وعلا: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم إنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون. وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم، وطب نفسًا عن إيمان الأغنياء والأقوياء.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْأَمِيرُ ﴿٨٦﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُتَّبِعِينَ ﴿٨٧﴾
الَّذِينَ جَاءُوا أَقْرَبًا عِضِينَ ﴿٨٨﴾.

﴿وقل﴾ لهم ﴿إني أنا النذير المبين﴾ أنذركم ببيان وبرهان: أن عذاب الله نازل بكم.

فإن قُلْتُ: بم تعلق قوله: ﴿كما أنزلنا﴾؟ قُلْتُ: فيه وجهان: أحدهما: أن يتعلق بقوله: ﴿ولقد آتيناك﴾⁽⁵⁾ أي: أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ حيث قالوا بعنادهم وعذوانهم: بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، فاققسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آل عمران لي، ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم، وقد اقتصموه بتحريفهم، وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض، والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم: سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني: أن يتعلق بقوله: ﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾ أي: وأنذر قريشًا مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو: ما جرى على قريظة والنضير، جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو: من الإعجاز؛ لأنه إخبار بما سيكون وقد كان، ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبًا بالندير أي: أتذر المعضين الذين يجزؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم: الاثنا عشر الذين اقتصموا مداخل مكة أيام الموسم، فقبلوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ،

الخالق، وهو يصلح للقليل والكثير، والخالق للكثير لا غير، كقولك: قطع الثياب وقطع الثوب والثياب.

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ الْعَظِيمِ ﴿٨٧﴾.

﴿سبعًا﴾ سبع آيات وهي: الفاتحة، أو سبع سور وهي: الطوال، واختلف في السابعة فقيل: الانفال وبراءة؛ لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية، وقيل: سورة يونس، وقيل: هي: آل حم، أو سبع صحائف وهي: الأسباع و﴿المثاني﴾ من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها أعلى ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة أو مثنوية صفة للآية، وأما السور أو الأسباع: فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك، ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى، وصفاته الحسنى، و﴿ومن﴾ إمًا: للبيان، أو للتبعيض: إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال، وللبيان: إذا أردت الأسباع، ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه، ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها.

فإن قُلْتُ: كيف صحَّ عطف ﴿القرآن العظيم﴾ على السبع، وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه؟ قُلْتُ: إذا عني بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن؛ لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل إلا ترى إلى قوله: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾⁽¹⁾ يعني: سورة يوسف، وإذا عنت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له: السبع المثاني، والقرآن العظيم، أي: الجامع لهذين التعيين وهو: الثناء، أو التثنية، والعظم. أي: لا تطمح ببصرك طموحًا راغب فيه متمن له.

لَا تَدْنَنَّ عَيْنِكَ إِلَّا مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَكُفَيْضَ جَنَاحِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾.

﴿إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾ أصنافًا من الكفار.

فإن قُلْتُ⁽²⁾: كيف وصل هذا بما قبله؟ قُلْتُ: يقول لرسوله ﷺ قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي: القرآن العظيم، فعليك أن تستغني به، ولا تمدنَّ عينيك إلى متاع الدنيا، ومنه الحديث: هليس منا من لم يتغن بالقرآن⁽³⁾. وحديث أبي بكر: من أوتي القرآن فرأى أن أحدًا أوتي من الدنيا أفضل مما

(1) سورة يوسف، الآية: 3.

(2) قال أحمد: وهذا هو الصواب في معنى الحديث، وقد جمعه كثير من العلماء على الغناء، وادعى هؤلاء أن تغني إنما بينى من الغناء المعمود، لا من الغنى المقصور، وإن فعله استغني خاصة، وقد وجدت بناء تغني من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في خيل، وأما التي هي ستر، فرجل ربطها تغنيًا وتمغفًا، وإنما هذا من الغنى المقصور قطعًا واتفاقًا، وهو مصدر تغني، فدل على ذلك على أنه مستعمل من البنانيين جميعًا، على خلاف دعوى المخالف، =

= والله الموفق.

(3) رواه البخاري في كتاب: «التوحيد» باب: قول الله تعالى: «وأسروا قلوبكم» (الحديث رقم: 7527).

(4) قال الزيلعي: غريب من حديث أبي بكر، ورواه إسحاق بن راهويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابن عدي في الكامل عن ابن مسعود 218/2.

(5) سورة الحجر، الآية: 87.

يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر، ويقول الآخر: كذاب، والآخر: شاعر، فاهلكهم الله يوم بدر، وقبله بأفات كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وغيرهم، أو مثل ما أنزلنا إلى الرهط الذين تقاسموا على أن يبيئوا صالحًا عليه السلام، والافتسام بمعنى: التقاسم.

فإن قلت: إذا علق قول: ﴿كما أنزلنا﴾ بقوله: ﴿ولقد أتيناك﴾ (1) فما معنى توسط ﴿لا تمدن﴾ (2) إلى آخره بينهما؟ قلت: لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية، من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم، ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين، عضين: أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء. قال رؤبة:

وليس بين الله بالمعضى

وقيل: هي فعلة من غضهته إذا بهته، وعن عكرمة: العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر: عاضه، ولعن النبي ﷺ: «العاضه والمستعضه» (3) نقصانها عن الأول وأو وعلى الثاني هاء.

فَوَيْلٌكَ لَسَتْلَهْرَ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ عَا كَانُوا يَمْلُونُ ﴿١٦﴾.

﴿لنستلنهم﴾ عبارة عن الوعيد، وقيل: يسألهم سؤال تفرغ، وعن أبي العالية: يسأل العباد عن خلتين، عما كانوا يعبدون، وماذا أجابوا المرسلين.

فَأَسْعَى بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الشُّرِكِينَ ﴿١٤﴾.

﴿فأصعد بما تؤمر﴾ فاجهر به وأظهره، يقال: صعد بالحجة إذا تكلم بها جهارًا كقولك: صرح بها من الصديق وهو: الفجر، والصدع في الزجاجة الإبانة، وقيل: فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى: بما تؤمر به من الشرائع فحنف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

ويجوز أن تكون ما مصدرية أي: بأمرك مصدر من المبني للمفعول.

إِنَّا كُنِينَاكَ الشُّرِكِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرُّ سَوْفَ يَمْلُوكُ ﴿١٦﴾.

عن عروة بن الزبير في المستهزئين: هم خمسة نفر نوو أسنان، وشرف الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحرث بن الطلالة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ماتوا كلهم قبل

بدر، قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: أمرت أن أكفيهم، فأومأ إلى ساق الوليد فمرّ بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظمًا لأخذه، فأصاب عرقًا في عقبه فقطعه فمات، وأومأ إلى أخص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات، وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي، وأشار إلى أنف الحرث بن قيس فامتخط قبحًا فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات (4).

وَلَقَدْ سَأَلْنَاكَ بِصَبُؤِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْقِيَامُ ﴿١٩﴾.

﴿بما يقولون﴾ من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن ﴿فسبح﴾ فافزع فيما نابك إلى الله، والفرع إلى الله هو: الذكر الدائم وكثرة السجود، يكفك ويكشف عنك الغم. ودم على عبادة ربك ﴿حتى ياتيك اليقين﴾ أي: الموت أي: ما دمت حيًّا فلا تخل بالعبادة، وعن النبي ﷺ أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (5).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات، بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ» (6).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل مكية

أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿أتى أمر الله﴾ الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرًا لقرب وقوعه ﴿فلا تستعجلوه﴾ روي: أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن. فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئًا. فنزلت: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ (7) فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئًا مما تخوفنا به. فنزلت: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب رسول الله ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، فنزلت: ﴿فلا تستعجلوه﴾ فاطمأنوا، وقرئ: تستعجلوه بالباء والياء ﴿سبحانه وتعالى عما

(5) رواه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب: «وقت قيام النبي ﷺ من الليل» (الحديث رقم: 1319).

(6) نكره الثعلبي والواحدي في تفسيره وابن مردويه الزيلعي 2/221.

(7) سورة الانبياء، الآية: 1.

(1) سورة الحجر، الآية: 87.

(2) سورة الحجر، الآية: 88.

(3) رواه عبد الرزاق في مصنفه 3/141 (الحديث رقم: 5090).

(4) رواه الطبراني في معجمه.